@ 629 @ إليهم وقت موتتهم الصغرى النوم وقد هجم عليهم الليل بظلامه ، فسكنت منهم الحركات ، وانقطعت منهم الأصوات ، وصاروا في فرشهم ومأواهم كالميتين . ثم إنهم لم يزالوا على ذلك ، طول ليلهم ، حتى تنفلق الأصباح ، فانتبهوا من رقدتهم ، وبعثوا من موتتهم ، قائلين : ^ (الحمد الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور) ^ ولهذا قال : 2 ! 2 ! بعد الإعادة ! 2 2 ! وهي النشأة لا تقبل موتا ، ولا نوما ، وإنما هو الخلود والدوام ، في إحدى الدارين . ^ (إن ا على كل شيء قدير) ^ فقدرته تعالى ، لا يعجزها شيء ، وكما قدر بها على ابتداء الخلق ، فقدرته على الإعادة ، من باب أولى وأخرى . ^ (يعذب من يشاء ويرحم من يشاء) ^ أي : هو المنفرد بالحكم الجزائي ، وهو : إثابة الطائعين ، ورحمتهم ، وتعذيب العاصين والتنكيل بهم . ^ (وإليه تقلبون) ^ أي : ترجعون إلى الدار ، التي بها تجري عليكم أحكام عذابه ورحمته . فاكتسبوا في هذه الدار ، ما هو من أسباب رحمته من الطاعات . وابتعدوا عن أسباب عذابه ، وهي المعاصي . ^ (وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء) ^ أي : يا هؤلاء المكذبين ، المتجرئين على المعاصي ، لا تحسبوا أنه مغفول عنكم ، أو أنكم معجزون في الأرض ، ولا في السماء . فلا تغرنكم قدرتكم ، وما زينت لكم أنفسكم ، وخدعتكم ، من النجاة من عذاب ا فلستم بمعجزين ا ، في جميع أقطار العالم . ! 2 2 ! يتولاكم ، فيحصل لكم مصالح دينكم ودنياكم . ! 2 2 ! ينصركم ، فيدفع عنكم المكاره . ^ (والذين كفروا بآيات ا ولقآئه أول ئك يئسوا من رحمتي وأول ئك لهم عذاب أليم) ^ يخبر تعالى ، من هم الذين زال عنهم الخير ، وحصل لهم الشر . وأنهم الذين كفروا به وبرسله ، وبما جاءوهم به ، وكذبوا بلقاء ا . فليس عندهم ، إلا الدنيا ، فلذلك أقدموا ، على ما أقدموا عليه ، من الشرك والمعاصي ، لأنه ليس في قلوبهم ، ما يخوفهم من عاقبة ذلك ولهذا قال : ^ (أولئك يئسوا من رحمتي) ^ أي : فلذلك لم يعلموا سببا واحدا ، يحصلون به الرحمة . وإلا ، فلو طمعوا في رحمته ، لعملوا لذلك أعمالا . والإياس من رحمة ا ، من أعظم المحاذير ، وهو نوعان : إياس الكفار منها ، وتركهم كل سبب يقربهم منها . وإياس العصاة ، بسبب كثرة جناياتهم ، أوحشتهم ، فملكت قلوبهم ، فأحدث لها الإياس . ^ (وأولئك لهم عذاب أليم) ^ أي : مؤلم مؤجع . وكأن هذه الآيات ، معترضات ، بين كلام إبراهيم لقومه ، وردهم عليه ، وا أعلم بذلك . ^ (فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه فأنجاه ا من النار إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون * وقال إنما اتخذتم من دون ا أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض

ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين) ^ أي : فما كان مجاوبة قوم إبراهيم لإبرهيم ، حين دعاهم إلى ربه ، قبول دعوته ، والاهتداء بنصحه ، ورؤية نعمة ا عليهم بإرساله إليهم . وإنما كان مجاوبتهم له ، شر مجاوبة . ^ (قالوا اقتلوه أو حرقوه) ^ أشنع القتلات ، وهم أناس مقتدرون ، لهم السلطان ، فألقوه في النار ^ (فأنجاه ا) ^ منها . ! 2 2 ! فيعلمون صحة ما جاءت به الرسل ، وبرهم ونصحهم ، وبطلان قول من خالفهم ، وناقضهم وأن المعارضين للرسل ، كأنهم تواصوا وحث بعضهم بعضا على التكذيب . ^ (وقال) ^ لهم إبراهيم في جملة ما قاله من نصحه : ^ (إنما اتخذتم من دون ا أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا) ^ أي : غاية ذلك ، مودة في الدنيا ستنقطع وتضمحل . ^ (ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا) ^ أي : يتبرأ كل من العبابدين والمعبودين ، من الآخر ! 2 2 ! . فكيف تتعلقون بمن يعلم أنه سيتبرأ من عابديه ويلعنهم ؟ أن ^ (مأواكم) ^ جميعا ، العابدين والمعبودين ! 2 2 ! . وليس أحد ، ينصرهم من عذاب ا ، ولا يدفع عنهم عقابه . ^ (فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم * ووهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين) ^ أي : لم يزل إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، يدعو قومه ، وهو مستمرون على عنادهم ، إلا أنه آمن له بدعوته لوط ، الذي نبأه ا ، وأرسله إلى قومه كما سيأتي ذكره . ^ (وقال) ^ إبراهيم حين رأى أن دعوة قومه لا تفيد شيئا : ^ (إني مهاجر إلى ربي) ^ أي : هاجر أرض السوء ، ومهاجر إلى الأرض المباركة ، وهو الشام . ^ (إنه هو العزيز) ^ أي : الذي له القوة ، وهو يقدر على هدايتكم . ولكنه ! 2! 2 ما اقتضت حكمته ذلك . ولما اعتزلهم وفارقهم ، وهم بحالهم ، لم